على أعتاب ذكرى ملحمة الطف الخالدة

نهضة الإمام الحسين(ع).. صرخة حق هزّت صمت التاريخ

الوفاق/ في صحراء كربلاء، حيث الرمال كانت تُصلي للسماء وتبكي كأنها تعرف أن الزمان على وشك أن يتلاشى من وجعه، كُتبَ فصلٌ خالد من فصول الإنسان.

نحن على أعتاب يوم تاسوعاء، ويليه عاشوراء، اللذين لم يكونا مجرد تاريخين هجريين يُتلى ذكرهما فحسب، بل نافذتان مشرعتان على أسمى معاني الشجاعة، والوفاء، والعدل، بل على أعلى درجات الحب الإلهي المطلق.

نهضة الإمام الحسين(ع)

في لُجّة الزمن، حينما سكنت القلوب واستكان الناس لظلم الطغاة، وارتدى الحق ثوب الغياب، انطلقت نهضة الامام الحسين(ع) كصاعقة في وجه الظلام، وكأنّها قُدّت من نورٍ لا ينطفئ. نهضة الإمام الحسين(ع) ليست حدثاً عابراً في صفحات التاريخ، بل هي «بداية جديدة» لفكرة الإنسان الحر، وسِفرٌ خالد يروي كيف يمكن للدم المراق على طريق الحق أن يُعيد تشكيل وجه الأرض والضمير.

حتمية الثورة

لم تكن واقعة كربلاء ثورة على واقعٍ سياسي فحسب، بل ثورة على انحدار القيم، وانهيار العدالة، وسكوت الأمة. قال الإمام الحسين(ع): «لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت من أجل الإصلاح في أمة جدي رسول الله(ص)» بهذا الإعلان، بَدَأت رحلة التحدي... لا ضد جيشٍ مدجج بآلاف السيوف، بل ضد السكون، ضد الاستسلام، ضد الانحناء.

كربلاء... المسرح المقدّس

في رمال الطفّ، رُسمت واحدة من أعظم ملحمات البشرية. كان الإمام الحسين(ع) مدرسة تمشي، تحمل على كتفيها رسالة السماء، وتسقي الأرض بدماء الأحرار.

لم تكن كربلاء هزيمة، بل انتصارٌ في جوهر المأساة. لقد انتصر الامام الحسين(ع) لأنه لم يُساوم، لأنه قال «لا» حين كان «السكوت» يساوي النجاة.

وبذلك، وضع أساساً جديداً لفكرة المقاومة، حيث يصبح الإنسان صاحب موقف أغلى من حياته.

تاسوعاء.. الصمت الذي يسبق العاصفة

تاسوعاء ليس يوم النضال، بل يوم الانتظار. هو اليوم الذي فيه تقف الأرواح على أطراف قلوبها، تتهيأ للعبور نحو الأبدية. في ذلك اليوم، كان معسكر الامام الحسين(ع) في هدوءٍ حزين، كأنّ الكون كله يتنفس بتثاقل، وكأن الوقت يسير على رؤوس النبال. كان سيدنا العباس(ض)، قمر بني هاشم، يتأمل الفرات الذي يفصله عن عطش الأطفال، وتُقاوم دموعه سطوة الحنين والرغبة في الفداء. وكان الإمام الحسين(ع) ينظر في وجوه أصحابه، يرى في أعينهم مرآة اليقين، وفي صمتهم أنشودة الشهادة.

عاشوراء.. حين تتكلم الدماء الطاهرة

ثم جاء عاشوراء، اليوم الذي خرج فيه الإمام الحسين(ع) ومن معه ليس طلباً للسلطة، بل طلباً للحق. لم يكن ذلك صراعاً بين جيشين، بل مواجهة بين الحق والباطل، بين الإنسانية والوحشية، بين النور والظلام. وقف الامام الحسين(ع) شامخاً، يُحدّث التاريخ بأكمله، لا بكلماتٍ فقط، بل بموقفه، بهيبته، بصبره. لقد خُلّد عاشوراء لا لأن الدماء سُفكت، بل لأن المبادئ علت فوق السيوف، ولأن صمت الأمهات وصبر السبايا أضحى أكثر بلاغة من الصراخ.

أعلن سيد الشهداء(ع) بصراحة أن هدفه من ثورته هو إقامة العدل، فالمعروف لا يعمل به والمنكر لا يتناهى عنه، لذا فهو اراد إقامة المعروف ومحو المنكر

الإلهام الأبدي

ما يجعل تاسوعاء وعاشوراء أبديين، ليس فقط ما حدث فيهما، بل كيف استمر صداها في أرواح البشر. في كل عام، يُستعاد الوجع لا ليُكرَّس الحزن، بل لتُجدَّد العزيمة، ولتفهم الأجيال القادمة أن الإنسان حين يرتقي بمبادئه، يصير أكبر من الزمن. ذكرى عاشوراء تُلهم الثائرين، تُبكي العاشقين، وتعيد تشكيل ملامح الإنسان المؤمن بالحق. إنّه يوم تحوّل فيه الرمل إلى شهيد، والماء إلى أمنية، والدم إلى درس خالد في الكرامة.

إقامة العدل

لقد أعلن سيد الشهداء(ع) بصراحة أن هدفه من ثورته هو إقامة العدل، فالمعروف لا يعمل به والمنكر لا يتناهى عنه، لذا فهو اراد إقامة المعروف ومحو المنكر، فجميع الانحرافات منشؤها المنكر، وما عداخط التوحيد المستقيم فكل ما في العالم منكرات، ويجب أن تزول.

ونحن الموالون لسيد الشهداء(ع) السائرون على نهجه ينبغي لنا النظر في حياته، وفي ثورته، التي كانت الدافع للنهي عن المنكر ومحوه.

التضحية بالنفس وأهل البيت(ع)

لقد ضحى سيد الشهداء(ع) بكل ما يملك وضحى بنفسه وأطفاله وبكل شيء وكان يعلم أن الأمر سيؤول إلى ما آل إليه، وإذا رجعنا إلى أقواله وتصريحاته وهو يهم بمغادرة المدينة إلى مكة وعندما خرج من مكة إلى كربلاء سنجد أنه بصير بما كان يفعل. لم يكن أنه يجرب أو يجازف في تحركه او ليعلم هل ينجح أم لا، بل أنه كان قد تحرك ليتسلم زمام الحكومة، وهذا مبعث فخر له ومدعاة افتخار، والذين يتصورون أن سيد الشهداء(ع) لم ينهض لأخذ زمام الحكم فهم مخطئون، فسيد الشهداء(ع) انما جاء وخرج مع صحبه لتسلم الحكم لان الحكومة يجب أن تكون لأمثال سيد الشهداء(ع) وأمثال شعيته.

لقد كان الامام الحسين(ع) يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين باعتبار أن الإسلام سينتشر بين الناس نتيجة لتضحياته ولجهاده المقدس وان نظامه السياسي والاجتماعي سيقام في مجتمعنا، فرفع لواء المعارضة والنضال والتضحية. كان التكليف يوجب على سيد الشهداء(ع)، أن يقوم ويثور ويضحي بدمه كي يصلح هذه الأمة ويهزم راية يزيد، وهذا ما فعله، لقد ضحى بدمه ودماء أبنائه وكل شيء من أجل الإسلام.

ما بعد الدم... ولادة الوعي

عاشوراء لم تنتهِ حين سكنت السيوف، بل بدأت حين حملها الأحرار عبر الأزمنة، حين أصبح كل شهيد في كربلاء فكرة، وكل دمعة على الخد، عهداً جديداً للكرامة.

لقد غدا عاشوراء مدرسة لا يُتخرج منها إلا النبلاء، من آمنوا أن الموت لأجل الحق حياة، وأن البكاء ليس ضعفاً، بل اعتراف بجلال التضحية.

عاشوراء لم تنتهِ حين سكنت السيوف، بل بدأت حين حملها الأحرار عبر الأزمنة، حين أصبح كل شهيد في كربلاء فكرة، وكل دمعة على الخد، عهداً جديداً للكرامة

مفجّر الثورة: كلّ ما لدينا من محرَّمٍ وعاشوراء

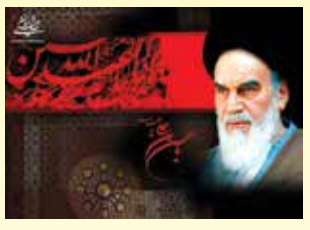

شكّلتْ عاشوراءُ عنصراً مهمّاً من عناصر خطاب الإسلام المحمّديّ الأصيل وفكره، وتشكّل مقولة الإمام الخميني(رض): «إنَّ كلّ ما لدينا من محرَّمٍ وعاشوراء» عُنواناً واضحاً لمكانةِ عاشوراءَ في خطِّ مفجر الثورة الإسلامية. وأهمُّ عنصرٍ في هذا الخطابِ هو التوجيهُ الذي حواهُ خطابُ الإمامِ الخميني(رض) في مواطنَ عِدَّةً في سبيلِ مواكَبةِ عمليةِ الإحياءِ العاشورائيِّ لأهدافِ الثورةِ الحسينيةِ في كلِّ زمان، ولا سيّما في زماننا هذا. فلا شكَّ في أنّ لهذه الشعيرةِ بُعدَها المعنويَّ الموجِبَ للثوابِ الأخرويّ، ولكن يجبُ استحضارُ البُعدِ السياسيِّ فيها. يقول الإمامُ الخمينيّ(رض): «إنَّ هذا الثوابَ المخصَّصَ للبكاءِ ومجالسِ العزاء، إنما يضيءُ -علاوَةً على الناحيةِ العباديةِ والمعنوية- على الأبعادِ السياسية، فهناك مغزى سياسيٌّ لهذه المجالس». ومن أهمِّ الأبعادِ السياسيةِ للإحياءِ العاشورائيِّ هو توحيدُ الأمّة. يقول الإمامُ الخميني(رض): «الأهمُّ من ذلك هو البُعدُ السياسيُّ الذي خَطَّطَ له أئمّتُنا عليهمُ السلامُ في صدرِ الإسلامِ، كي يدورَ حتى النهايةِ، وهو الاجتماعُ تحت لواءٍ واحدٍ وبهدفٍ واحد، ولا يمكنُ لأيِّ شيءٍ آخَرَ أن يحقِّقَ ذلك بالقدَرِ الذي يفعلُهُ عزاءُ سيّدِ الشهداءِ(ع)». وفي مكان آخر يقول مفجر الثورة الإسلامية: «محرّم هو الشهر الذي أحيا فيه سيد المجاهدين والمظلومين الإسلام، وأنقذه من مؤامرة عناصر نظام بني أميّة الفاسدين، الذين كانوا قد ساروا بالإسلام إلى حافّة الهاوية». كما يعتقد الإمام الخميني(رض) أن دم سيد الشهداء هو الذي حرّك دماء الشعوب الإسلاميّة بأسرها. ويعتبر محرّم الحرام هو شهر النهضة الكبرى لسيد الشهداء وسيد أولياء الله، الذي علّم البشرية .بثورته . درس البناء والصمود، وعلّمها أن طريق فناء الظالم وهزيمته إنما يكون بتقديم الضحايا والتضحية بالنفس. وهذا الأمر هو أهم تعاليم الإسلام للشعوب إلى آخر الدهر. كما يعتقد الإمام الخميني(رض) أن الثورة الإسلاميّة في إيران هي ومضة من عاشوراء والثورة الإلهية العظيمة التي اندلعت فيه. ويقول: إنّ شهري محرم وصفر هما اللذان بعثا الحياة في الإسلام. إنّ وحدة الكلمة .التي كانت سبباً لانتصارنا .إنّما هي نتيجة لمجالس العزاء والحزن هذه، وهي بعد مجالس التبليغ بالإسلام وترويجه. وأخيراً يقول الإمام الخميني(رض): عاشوراء هو يوم الحداد العام للشعب المظلوم، ويوم الملحمة، ويوم الولادة الثانية للإسلام والمسلمين.

قائد الثورة: كربلاء بوصلة الوعي ومحرّك التاريخ

شكّلت حادثة كربلاء على امتداد التاريخ منبعا لا ينضب لكل أحرار ومستضعفي العالم تجاه الظلم والظالمين. وقد شاء الله تعالى لهذه الواقعة أن تخلد وأن تخرج عن كونها حادثة وقعت في التاريخ الى أن تصبح من مكونات التاريخ وصانعة له ومؤثرة في صنع المستقبل. وكان من أبرز من تفاعلت روحه وفكره بثورة كربلاء العظيمة الإمام الخميني(رض) وتلاميذه المباركين وعلى رأسهم ولي أمر المسلمين السيد القائد الإمام الخامنئي(دام ظله). وقد تميز فكرهما وخطابهما بالتلاقي الفعلي والفعّال مع حركة هذين العظيمين، بحيث ليس من المبالغة أبداً القول إن أهم الطرق لفهم كربلاء ومضامينها يكمن في كربلاء. من عِبَر كربلاء أنها دلت على مدى الحاجة للقائد الملهم في حركتها وفي قيامها بالمهام المطلوبة منه. وقد ركّز السيد القائد الإمام الخامنئي (حفظه الله) على أهمية دور القائد من حيث كونه الأقدر على تشخيص الواقع الفعلي وبالتالي الأقدر على اتخاذ الموقف المطلوب في تلك المرحلة من خلال الترتيب الصحيح والدقيق للأولويات، وفي هذا المجال قال: «إن الحسين بن علي(ع) قد شخّص في وقت حسّاس جداً من تاريخ الإسلام الوظيفة الرئيسية من بين وظائف متنوعة ومتفاوتة من حيث الأهمية، ولم يخطئ او يشتبه في معرفة ما كان العالم الإسلامي محتاجاً إليه في ذلك اليوم. ولقد كان تشخيص الوظيفة الأصلية دائماً أحد نقاط الخلل والضعف في حياة المسلمين على مر العصور».

وأكد السيد القائد الإمام الخامنئي على أهمية هذا التشخيص وقال: «الخلل في تشخيص الوظيفة الأصلية يعني أن أفراد الأمة والقادة ووجهاء العالم الإسلامي يخطئون في ذلك التشخيص في لحظة من الزمن فلا يعرفون ما عليهم أن يفعلوا أو أن يقدموا وماذا عليهم أن يتركوا أو يؤخروا».

وأشار السيد القائد الإمام الخامنئي بقوله: «الإمام الحسين(ع) لم يهدف إلى السلطة من حيث هي شأن دنيوي. وقد روي عن الإمام الحسين(ع) أنه قال: اللهم إنك تعلم أن الذي كان منّا لم يكن منافسة في سلطان ولا إلتماس شيء من الحطام..». ومن خلال نظرة إلى ما جرى في الكوفة مع مسلم وفي كربلاء يحلل السيد القائد الإمام الخامنئي فيقول: «قد تؤدي حركة ما إلى تبديل وجه التاريخ، وقد تؤدي حركة أخرى مغلوطة إلى جعل التاريخ يتمرّغ في مهاوي الضياع، وهذا هو دور الخواص الذين يفضّلون الدنيا على الدين».

سيد شهداء الأمة: كربلاء مدرسة الوعي وجهاد التبيين

إن حياة سيد الشهداء(ع) وحياة الإمام المهدي صاحب الزمان(عج) وجميع الأنبياء من آدم(ع) حتى الرسول الخاتم(ص) كانت تدور حول محور إرساء وإقامة حكومة العدل ضد الظلم.

وأعلن سيد الشهداء(ع) بصراحة أن هدفه من ثورته هو إقامة العدل. ويسير أحرار العالم على هذا النهج، كما كان الأمين العام لحزب الله الشهيد السيد حسن نصرالله، حيث كان في خطاباته وأعماله يؤكد على ذلك ويعتبر المجالس الحسينية مجالس للرثاء والبكاء وللمعرفة والموعظة معاً.

كان يقول الشهيد نصرالله في بداية شهر محرم: طبعاً نحن ندخل إلى عام جديد ويتلو عاماً وأعوامًا تضج فيه أو فيها منطقتنا بالأحداث والتطورات والتحديات والأخطار سواء على المستوى السياسي أو الأمني أو على المستوى الثقافي والديني والإيماني أو على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والحياتي، على صعد ومستويات مختلفة. ولبنان هو جزء من هذه المنطقة ويتأثر بما يجري فيها. سيد شهداء الأمة كان يعتبر المجالس الحسينية مجالس ذكر ومعرفة وجهاد وتقرب إلى الله، ويقول: منذ البداية كان التوجيه وكان المطلوب أن حادثة كربلاء وما جرى على الامام الحسين(ع) في كربلاء يوم العاشر من محرم سنة ٦١ للهجرة كان المطلوب أن يكون أولاً للمسلمين وللبشرية كلها في ذاك الوقت. وعلى مدى الأجيال ليس فقط للمسلمين المعاصرين لحادثة كربلاء. كان المطلوب اولاً أن يعرفوا هذه الحادثة وقائدها وأحداثها وخلفياتها وأهدافها وماجرى فيها والتحديات وحجم الأخطار والمؤامرات والانجازات. أيضا لأنّ كربلاء صنعت انجازًا تاريخيًا دائمًا وخالداً وثابتًا لانها حفظت لنا الإسلام وحفظت لنا النواة الأساسية لهذه الامة. ويتابع: من أجل الحفاظ على هذه الصيغة وبعض هذه الصيغ أمثالها من شعائر حسينية كان محبو أهل البيت(ع) يواجهون الكثير من المخاطر والتحديات. نحن في كل عام نواصل هذا العمل الاسلامي الديني الشرعي المستحب المؤكد الذي فيه إحياء لأمر الإسلام، لأمر رسول الله(ص)، إحياء لكتاب الله لسنة رسول الله(ص)، لأمر أهل بيت رسول الله(ص)، إحياء لهذه الأمة وتعميق صلتها بدينها وعقيدتها وإيمانها. هذا الذي نحن نعمل ونؤكد عليه ونحرص عليه حتى لو أحاطت بنا تهديدات من هنا أو من هناك. انا أود أن أؤكد على الحضور المباشر في المساجد وفي الحسنيات وفي المجتمعات وفي القاعات وفي الميادين وفي الصالات وفي الخيم حيث تقام هذه المجالس.